وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم: العلوم الإجتماعية

التخصص: علـم الإجتمـــــــاع مكان المحاضرة: دروس عبر الخط

المستوى: السنة الثانية علم الإجتماع التوقيـت: 16:30 – 18:00

محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر المعاصر

المشرف على المقياس: الدكتور/ رشيد العايدي

ملخص المحاضرة الثامنة

مقاومة الحاج أحمد باي بقسنطينة (1830-1848)

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور/ رشيد العايدي)

نظرا لأهمية خطة أحمد باي العسكرية المقترحة لمواجهة الحملة الفرنسية نعيد التذكير بها:

تزامنا مع انعقاد المجلس العسكري تحت رئاسة ابراهيم آغا قائد الجيش الجزائري، وبحضور مصطفى مزراق باي التيطري، وخوجة الخيل، وخليفة باي الغرب. قبيل الإبرا ر البحري الفرنسي ليلة 14 جوان 1830، اقترح الحاج أحمد باي خطة عسكرية لمواجهة الحملة الفرنسية، فبعد أن ذكرهم بضيق الوقت، وقلة الامكانيات التي لا تسمح بإنشاء وتجهيز تحصينات قوية، أو حتى توفير بطاريات مدفعية، لمنع الإبرا ر البحري الفرنسي، وأن تغيير مواقع المدفعية الثقيلة والذخائر الحربية يؤدي إلى إضعاف دفاعات مدينة الجزائر، وتعريتها من الحماية. لذلك فهو يقترح بدلا من ذلك أن يقوم جيش الإيالة بمهاجمة مؤخرة الجيش الفرنسي عند تنقله عبر المسالك المؤدية إلى مدينة الجزائر، وذلك بغرض الاستحواذ على الامدادات والمؤونة، وزرع الفوضى وقطع الاتصالات بين النسق الأول والثاني للقوى الرئيسية، وبين وحدات المقدمة. يتم بعدها استدراج القوات الفرنسية إلى منطقة وادي مازفران ومحاولة إلحاق الخسائر بها، ثم القيام بهجوم مضاد يشتت صفوف الجيش الفرنسي، ويمنعه من مواصلة السير نحو مدينة الجزائر.

وكان رد ابراهيم آغا من هذه الاقتراحات بقوله "إنكم لا تعرفون التكتيك الأوروبي، إنه يتعارض كل المعارضة مع تكتيك العرب"، رأى باي قسنطينة في هذه الإجابة البليدة إهانة له، لذلك إلتزم الصمت ولم يسمح لنفسه بإبداء أية ملاحظة أخرى

و"لو كان الآغا يحي على رأس الجيش الجزائري بدل إبراهيم آغا لكانت الأمور أحسن حالا، لأن تجاربه في البحر والبر وشجاعته في كل المناسبات تكون ضمانا للجندي الذي يعمل تحت أوامره".

1 - مقاومة أحمد باي إثر احتلال الجزائر العاصمة:

كان الحاج أحمد باي من الأوائل الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، باعتباره كان متواجدا بالجزائر العاصمة يوم نزول القوات الفرنسية بسيدي فرج، حيث حضر مجلسا عسكريا قرب اسطاوالي شارك من خلاله في مناقشة طويلة بين أعضائه حول وسائل الدفاع، غير أن رأي أحمد باي تعارض مع رأي قائد الجيش إبراهيم آغا، الذي رفض الخطة الدفاعية الذكية التي اقترحها عليه.

شارك أحمد باي في المعارك الأولى في سيدي فرج واسطاوالي، وبعد سقوط العاصمة ووقوع الاحتلال انسحب من ساحة المعركة متجها إلى عاصمة إقليم بايلكه (قسنطينة).

2 - بداية مقاومة أحمد باي بشرق العاصمة:

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر / الدكتور رشيد العابدي

بمجرد استقرار أحمد باي في مدينة قسنطينة، اتخذ العديد من الإجراءات ليواجه بها الزحف الفرنسي إلى إقليم الشرق نذكر منها:

•تخلصه من الجنود الإنكشاريين بعد الانقلاب الذي قاده هؤلاء ضده عندما كان في العاصمة.

•شرع في تكوين جيش عربي.

•عمل على تحصين عاصمته قسنطينة.

•قام ببناء ثكنات جديدة جنودها من الوطنيين الجزائريين.

3 - مراحل مقاومته:

أ- المرحلة الأولى (1830 -1837): يمكن تلخيص أهم الأحداث المرتبطة بهذه المرحلة فيمايلي:

•محاولات أحمد باي العديدة لإقناع السلطان العثماني بالاعتراف به واليا على الجزائر، وإمداده بمساعدات عسكرية يستعين بها على قتال الفرنسيين، لكنه لم يحظ منه سوى بوعود وتشجيعات، وذلك خوفا من فرنسا التي لم يتردد سفيرها في اسطنبول في الإعلان أن بلاده ستعتبر توجيه رتبة الباشا إلى باي قسنطينة بمثابة إعلان حرب عليها.

•حاولت فرنسا جاهدة أن تقضي على مقاومة الحاج أحمد باي، فسعت إلى التفاوض معه عدة مرات، لكنها كلها محاولات باءت بالفشل، حيث كان أحمد باي يصر دائما على موقفه الرافض توقيع أي معاهدة استسلام مع العدو، وكانت أولى هذه المفاوضات مع الجنرال "دي بورمون" سنة 1830، تلتها المحاولة الفاشلة للجنرال "كلوزيل"، ثم محاولة الحاكم العام للجزائر "الدوق دي روفيقو" في 17 ديسمبر 1831، تلتها محاولة الجنرال "دامريمون"، كما حاول الماريشال "فالي" أن يتفاوض من جديد مع الباي أحمد

•عرفت هذه الفترة غزو قسنطينة مرتين الأولى عام 1936 وانتصرت فيها قوات أحمد باي، في حين كان الغزو الثاني لها عام 1837 والذي انتهى بسقوط عاصمة بايلك الشرق

•الغزو الفرنسي الأول لقسنطينة 1836

عندما تمكنت فرنسا من احتلال ميناء عنابة عام 1832، ويئست من إرغام أحمد باي على الاستسلام، بدأت تهدده بالإطاحة به، ثم قررت أن تستولي على عاصمته وتضع حدا لمقاومته، ومن أجل ذلك جهزت حملة قوامها نحو 8700 رجل، خرجت من عنابة يوم 8 نوفمبر 1836 بقيادة كلوزيل.

بلغت الحملة الفرنسية قسنطينة يوم 21 نوفمبر 1836 منهكة جراء الغارات التي استهدفتها على طول الطريق من قبل قوات أحمد باي التي كانت متربصة بالجيش الفرنسي خارج مدينة قسنطينة، فضلا عن تهاطل الأمطار والثلوج غير المعهودة في تلك الفترة من العام، والتي عرقلت تقدمها

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر / الدكتور / رشيد الفيدي

ضربت القوات الفرنسية على قسنطينة حصار دام ثلاثة أيام (21-22-23 نوفمبر)، وفي اليوم التالي رفع الغزاة حصارهم بعدما تكبدوا خسائر جسيمة وأوشكت ذخائرهم على النفاذ، وانسحبوا إلى عنابة منهزمين.

•الغزو الثاني لقسنطينة 1837

بعد إبرام الفرنسيين معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر، تفرغوا مجددا لقتال أحمد باي، فسيّروا حملة كبيرة إلى قسنطينة بقيادة الحاكم العام "دامريمون" ضمت 20.400 رجل، ومدفعية قوية بقيادة الجنرال فالي(Valée) ، وفرقة هندسة عالية التجهيز.

وصلت الحملة الفرنسية إلى قسنطينة يوم 5 أكتوبر 1837 وحاصرتها، وأمطرت القوات؛ أسوار المدينة بوابل لا يكاد ينقطع من القنابل، مُركزين على أجزاء من الأسوار الجنوبية الغربية، ومن الثغرات والمنافذ التي أحدثتها الضربات في أسوار المدينة دخل الغزاة قسنطينة في13 أكتوبر 1837.

ب- المرحلة الثانية 1837-1848: رغم ضياع عاصمة بايلك الشرق، إلا أن الحاج أحمد باي أبى إلقاء السلاح والاستسلام للعدو، و من بين الأحداث التي ميزت هذه الفترة نذكر مايلي:

•تركزت جهود أحمد باي في هذه المرحلة على محاربة الفرنسيين وخصومه الجزائريين (فرحات بن سعيد الذي كان يحكم بسكرة).

•ظل الحاج أحمد باي يقاوم باعتماده على حرب العصابات، فكان يتنقل من قبيلة إلى أخرى، ومن الجبل إلى الصحراء،في كل من بسكرة، نواحي عين البيضاء، النمامشة، الأوراس وأولاد سلطان غربي باتنة والحضنة ... محاولا تعبئة القبائل لمواصلة الجهاد ومهاجما المراكز العسكرية الفرنسية إلى غاية صيف1848.

•إصرار العدو على استسلام أحمد باي عن طريق التفاوض معه من جديد

•انتهاء مقاومة الحاج أحمد باي للاحتلال الفرنسي سنة1848 بعد أن دامت 18 سنة، حيث حاصرته القوات الفرنسية المتخصصة في حرب الجبال بالتعاون مع عملائهم في معقله بجبل "أحمر خدو"(الأوراس).

•استسلام أحمد باي يوم 5 جوان 1848 بعد أن تقدم في السن، وقل أنصاره وفقد موارده المالية، وتكاثر المتآمرون عليه من الجزائريين، وتم ترحيله إلى العاصمة أين فرضت عليه الإقامة الجبرية إلى أن توفي عام 1850.

4 - أسباب فشل مقاومة أحمد باي

اجتمعت عدة عوامل ساهمت في إضعاف مقاومة أحمد باي، نوجزها في النقاط التالية:

أ. موت أو تخلي أحد قواده عنه وخلافه مع خاله بوعزيز الذي أصبح عميلا لفرنسا، بعدما عينته في منصب شيخ العرب.

ب. محاولة الأمير عبد القادر مد نفوذه إلىإقليم قسنطينة بتوجيه نداء إلى أعيانه وتعيين خلفاء له فيه.

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور رشيد الهادي)

ج. توقيع معاهدة التافنة مع الأمير، جعل القوات الفرنسية تتفرغ له وحده، بعدما كانت تحارب على جبهتين.

د. غيرة باي تونس منه الذي كان يكيد له لدى القبائل المجاورة ولدى السلطان العثماني.

هـ. تحريض فرنسا عليه القبائل وخلق له الصعوبات أينما حل، لأنها كانت ترى في وجوده بين العرب علامة خطر.

و. سلبية السلطان الذي كان الحاج أحمد يعتمد عليه حتى بعد سقوطه.

ز. ارتكابه عدة أخطاء أهمها:محاباته لأقربائه وأوليائه على حساب الصالح العام، فمثلا انتزع مشيخة عرب الزيبان من فرحات بن سعيد، وإسنادها إلى خاله بوعزيز بن قانة.

محاضرات تاريخ الجزائر المعاصر (الدكتور / رشيد العايدي)